آداب طالب العلم في درسه وبرنامجه :

1- قال أبو عمر بن عبد البر (ت 463هـ) : " طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعدَيها ، ومن تعدَاها جملة فقد تعدَى سبيل السلف – رحمهم الله – ومن تعدَى سبيلهم عامداً ضلَ ، ومن تعدَاه مجتهداً زلَ . فأول العلم حفظ كتاب الله جل وعز ، وتفهمه ، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ، ولا أقول إن حفظه كله فرض ، ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً ، ليس من باب الفرض " .
وقال الحافظ ابن جماعة (ت 733هـ) :

" يبتدىء أولاً بكتاب الله عزوجل فيتقنه حفظاً ، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه ، فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها " . وقال الخطيب البغدادي (ت 463هـ) : " ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله عزوجل ، إذا كان أجل العلوم وأولاها بالسبق والتقديم " .

2- ثم يحفظ من كل فنٍ مختصراً يجمع فيه بين طرفي الحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، والنحو والتصريف ، ولا يشغله ذلك عن مدارسة القرآن وتعهده وملازمته وِرد فيه أحاديث تزجر عنه " .

3- ثم يشتغل بشرح تلك المختصرات على المشايخ ، وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب أبداً ، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليماً له ، وأكثر تحقيقاً فيه وتحصيلاً منه ، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه ، بعد مراعاة الصفات التي تقدم ذكرها من الصلاح ، والاستقامة ، وحسن المعتقد ، الورع ونحو ذلك .

4- وليأخذ من الحفظ والشرح ما يمكنه ويطيقه حاله من غير إكثار يُملَ ، ولا تقصير يُخلَ بجودة التحصيل .
قال الخطيب البغدادي : " ولا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه ، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويحكم حفظه ويتقنه " .
ثم ذكر بإسناده إلى إسماعيل بن علية قال : " كنت أسمع من أيوب خمسة أحاديث ، ولو حدثني بأكثر من ذلك ما أردت " .
وعن سفيان الثوري قال : " كنت آتي الأعمش ومنصوراً فأسمع أربعة أحاديث ، خمسة ، ثم أنصرف كراهة أن تكثر وتفلت " .
وفي ترجمة سفيان الثوري في الحلية لأبي نعيم الأصبهاني : عن زيد بن الحُباب قال: " سمعت الثوري

وسأله شيخ عن حديث فأجابه ، ثم عن آخر فأجابه ، ثم عن ثالث فأجابه ، ثم سأله في الرابعة ، فقال : إنما كنت أقرأ على الشيوخ الحديثين والثلاثة ، لا أزيد حتى أعرف العلم والعمل بها . فألح الشيخ عليه فلم يجبه . فجلس الشيخ يبكي ، فقال له سفيان : يا هذا تريد ما أخذُته في أربعين سنة تأخذه أنت في يوم واحد ؟ " .

وعن شعبة أيضاً قال : " كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين ، فيحدثني ، ثم يقول : أزيدك ؟ فأقول : لا ، حتى أحفظها وأتقنها " .

وعن يونس بن يزيد قال : قال لي ابن شهاب : " يا يونس ، لا تكابر العلم ، فإن العلم أودية بأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي. ولا تأخذ العلم جملةَ، فإن من رام أَخْذَه جملة ذهب عنه جملةَ ، ولكن الشيء مع الأيام والليالي " .

وعن عبد الرزاق عن معمر قال : سمعت الزهري يقول : " من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان " .

وعن أبي عمرو الأوزاعي قال : عرضنا على مالك ((الموطأ)) في أربعين يوماً ، فقال : كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً ! قلماً تفقهون فيه " .

5- إذا شرح محفوظاته المختصرات وضبط ما فيها من الإشكاات والفوائد المهمات ، انتقل إلى بحث المبسوطات مع المطالعة الدائمة وتعليق ما يمر به ، أو يسمعه من الفوائد النفيسة والمسائل الدقيقة . ولا يستقلُ فائدة يسمعها ، أو يتهاون بقاعدة يضبط بها ، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها . ولتكن همته في طلب العلم عالية ، فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيرة ، ولا يقتنع من إرث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بيسيره ، ويغتنم وقت فراغه ونشاطه ، وزمن عافيته ، وشرخ شبابه ، ونباهة خاطره ، وقلة شواغله قبل عوارض البطالة ، أو موانع الرياسة .

قال عمر رضي الله عنه : " تفقهوا قبل أن تسودوا " .

وقال الشافعي : " تفقه قبل أن ترأس ، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه " .

6- أن يرغب بقية الطلبة في التحصيل ويدلهم على مظانه ويصرف عنهم الهموم المشغلة عنه ، ويهون عليهم مؤنته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والقواعد والضوابط ، وينصحهم في الدين ، فبذلك يستنير قلبه ، ويزكو عمله ، ومن بخل عليهم بعلمه لم يثبت لم يثمر ، ولا يفخر على بقية الطلبة أو يعجب بجوده ذهنه ، بل يحمد الله تعالى على ذلك ، ويستزيده منه بدوام شكره .

7- التكبير بسماع الحديث ، ولا يهمل الاشتغال به وبعلومه والنظر في إسناده ورجاله ومعاينه وأحكامه ، ويعتني بالصحيحين ، ثم السنن ، والموطأ ، والمسانيد ، وبقية كتب الحديث ، ويعتني بمعرفة

صحيح الحديث ، وحسنه ، وضعيفه ، ومسنده ،ومرسله ، وسائر أنواعه ،فإنه أحد جناحي العالم بالشريعة ،والآخر هو القرآن ، ولا يكتفي بمجرد السماع ، بل يعتني بالدراية أشد من اعتنائه بالرواية . قال الخطيب البغدادي : " من أول ما ينبغي أن يستعمله الطالب شدة الحرص على السماع ، والمسارعة إليه والملازمة للشيوخ ... " ثم قال : " ويبتدىء بسماع الأمهات من كتب أهل الأثر والأصول الجامعة للسنن ، وأحقها بالتقديم كتاب (الجامع) والمسند والصحيحان لمحمد بن إسماعيل البخاري ،ومسلم بن الحجاج النيسابوري ، ومما يتلو الصحيحين سنن أبي داود ، وأبي عبد الرحمن النسائي ، وأبي عيسى الترمذي ، وكتاب محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، الذي شرط فيه على نفسه إخراج ما اتصل سنده بنقل العدل عن العدل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم كتب المسانيد الكبار ، كمسند الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل ، وأبي يعقوب إسحاق بن راهويه ، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة ، وعبد بن حميد الكشي وغيرهما ... " إلى أن قال : " وأما موطأ الإمام مالك بن أنس فهو المقدم في هذا النوع ، وجب أن يبتدىء بذكره على كتاب غيره ، ثم الكتب المتعلقة بعلل الحديث ، منها : كتاب أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، وأبي حاتم الرازي ، وأبي علي الحافظ النيسابوري ، وأبي الحسن الدارقطني ، وكتاب (التمييز) لمسلم بن الحجاج . ثم تواريخ المحدثين وكلامهم في أحوال الرواة ، مثل كتاب ابن معين ، الذي يرويه عنه عباس الدوري ، وكتاب خليفة بن خياط العصفري ، ويعقوب بن سفيان الفسوي ، وأبي خيثمة النسائي ، وأبي زرعة الدمشقي ، وحنبل بن إسحاق الشيباني ، ومحمد بن إسحاق النيسابوري ، وكتاب (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، ويربي على هذه الكتب كلها (تاريخ محمد بن إسماعيل البخاري) فإذا أحرز صدراً مما ذكرناه فلا عليه أن يشتغل بالسماع والكتب للفوائد المنثورة غير المدونة المجموعة ، يعمد إلى استيعابها دون انتخابها) اهـــ . ملخصاً .

وقال الحافظ ابن عبد البر : " واعلم ـــ رحمك الله ـــ أن طلب العلم في زماننا هذا ، وفي بلدنا قد حاد أهله عن طريق سلفهم وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم ، وابتدعوا في ذلك ما بان جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم . فطائفة منهم تروي الحديث وتسمعه ، قد رضيت بالدؤوب في جمع مالا تفهم ، وقنعت بالجهل في حمل ما لا تعلم ، فجمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، والحق الكذب في كتاب واحد ، وربما في ورقة واحدة . ويدينون بالشيء وضده ، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم . قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار من التدبر والاعتبار ، فألسنتهم تروي العلم ، وقلوبهم قد خلت من الفهم ، غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة ، والاسم الغريب ، والحديث المنكر . وتجده قد جهل مالا يكاد يسمع أحداً جهله من علم صلاته وحجه ، وصيامه ، وزكاته . وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشد ، لم يعنوا بحفظ سنة ولا الوقف على معانيها ، ولا بأصل من القرآن ولا اعتنوا بكتاب الله عز وجل

، فحفظوا تنزيله ، ولا عرفوا ما للعلماء في تأويله ، ولا وقفوا على أحكامه ، ولا تفقهوا في حلاله وحرامه ، قد اطرحوا علم السنن والآثار ، وزهدوا فيها ، وأضربوا عنها فلم يعرفوا الاجتماع من الاختلاف ، ولا فرقوا بين التنازع والائتلاف ، بل عولوا على حفظ مادون لهم من الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان ، وكان الأئمة يبكون على ما سلف وسبق لهم من الفتوى فيه ، ويودُّن أن حظهم السلامة فيه ..." اهـــ . مختصراً .

وعن عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس قال : " إن العلم ليس بكثرة الرواية ، إنما العلم نور يجعله الله في القلب " .

وقال الخطيب البغدادي : " العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع في الرواية " .

وقال أيضاً : " وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية ، فإن رواة العلوم كثير ، ورعاتها قليل . ورب حاضر كالغائب ، إذ كان في اطّراحه لحكمة بمنزلة الذاهب عن معرفته وروى بإسناده إلى الحسن البصري (ت **110**هـــ) رحمه الله ـــ قال: " تعلموا ما شئتم أن تعلموا ، فلن يجازيكم الله على العلم حتى تعلموا ، فإن السفهاء همتهم الرواية ، وإن العلماء همتهم الرعاية " .

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت **463**هـــ) : " ... أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه ولا تدبر لمعانيه ، فمكروه عند جماعة من أهل العلم " .

وقال أيضاً : " الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار دون تفقه ولا تدبر، والمكثر لا يأمن مواقعة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لروايته عمن يؤمن وعمن لا يؤمن " ثم ذكر بإسناده إلى ابن شبرمة قال : " أقلل الرواية وتفقه " .

وقال الحافظ ابن القيم (ت **751** هـــ) : " صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده ، ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ، ولا أجل منهما ، بل هما ساقا الإسلام ، وقيامه عليهما ، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم ، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم ، وهم أهل الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة . وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد ، يميز به بين الصحيح والفاسد ،والحق والباطل ..،

ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية ، ويقطع مادته إتباع الهوى وإيثار الدنيا ، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى))

8- ينبغي أن يتذاكر مع زملائه ما وقع في مجلس الشيخ من الفوائد والقواعد والضوابط وغير ذلك ، وأن يعيدوا ما سمعوه بينهم ، فإن في المذاكرة نفعاً عظيماً .

قال الخطيب البغدادي : " وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل ، وكان جماعة من السلف يبدؤون في المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح " .

" فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه ، وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه اللفظ على لسان سواء بسواء ، وقل ما يفلح من يقتصر على حضور الفكر والعقل في مجلس الشيخ خاصة، ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده بالمذاكرة " .

وقال رحمه الله : " وإذا لم يجد الطالب من يذاكره ، أدام ذكر الحديث مع نفسه وكرره على قلبه " .

ومما ورد عن السلف في المذاكرة وبيان أهميتها ما يأتي :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه " .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : " تزاوروا وتدارسوا الحديث ، ولا تتركوه يدرس " .

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " إذا سمعتم مني حديثاً فتذاكروه بينكم " .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " تحدثوا وتذاكروا ، فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً " .

وعن ابن أبي ليلى عن عطاء قال : " كنا نكون عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيحدثنا ، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه " قال : " فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث " .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : " جزأت الليل ثلاثة أجزاء : ثلثاً أصلي ، وثلثاً أنام ، وثلثاأذاكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وعن ابن جرير : " كان عمرو بن دينار يجزى الليل ثلاثة أجزاء :ثلثاً ينام ، وثلثاً يصلي ، وثلثاً يذاكر فيه الحديث " .

وقال عبد الله بن المعتز : " من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم ، واستفاد ما لم يعلم " .

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال : قال لي أبي : " كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال : اليوم يوم غنمي ، فيتعلم منه ، وإذا لقي من هو مثله قال : اليوم يوم مذاكرتي فيذاكره ، وإذا لقي من هو دونه علمه لم يزه عليه " قال : " حتى صار هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لا يرى الناس أن له إليه حاجة ، وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره ، فهلك الناس عند ذلك " .

بقلم:د0محمد بن مطر الزهراني – رحمه الله تعالى.

المرجع:كتاب (من هدي السلف في طلب العلم)